مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 107- 116

استراتيجية بناء الشخصيات في الخطاب الروائي المعاصر- دراسة تطبيقية-

Character building strategy in contemporary narrative discourse - applied study -

أيوب جدّي
Dj.Ayoub12@gmail.com
جامعة العربي التبسي – تبسة/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/21 تاريخ القبول: 2020/10/22 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص البحث

تعدّ الروايةُ أكثر الأنواع الأدبية قربا إلى الحقائق الكتابية الفنية المصوّرة للوجود، كما أنها من أبرز الأشكال السردية الأكثر تعقيدا، لذا تعدّدت منظورات الباحثين في دراسة بنيتها الفنية وآثارها الجمالية ضمن معمارية العمل السردي.

لقد تطوّرت "الشخصية" الروائية من حيث علاقاتها البنائية وظائفها الجمالية، لاسيما في ظل ظهور الروايات المعقدة في تركيبة عناصرها المتعددة الأبعاد.

الكلمات المفتاحية: شخصيات – وظيفة– بنية سردية– رواية- استراتيجية.

ABSTRACT:

Novel is the most related literary genre to technical written facts that embodies life and existence. It is also one of the most complex narrative forms in which researchers perspectives differed in their try to study its technical structure and its aesthetic effect within the rules of the narrative work.

Character has been developed in a narrative in terms of its concept, its structural relations and its aesthetic functions, particularly under the emergence of complex novels that have a combination of its multi-dimensional elements.

Key words: Characters, Function, Narrative Structure, Novel, Strategy.

مقدمة:

يجب تعدّ الشخصية من أهم العناصر التي ترتكز عليها العملية السردية، بل إنها عماد كل عمل فنّي روائي بصفة خاصة، وسردي بصفة عامة، إذ لا يمكن تخيّل نص سردي دونما احتوائه على شخصيات: فهذه الأخيرة هي التي تعمل على إدارة الأحداث حسب تسلسلها الزماني والمكاني ومن خلال تأدية أدوارها داخل العمل الروائي، كما أنها تتفاعل مع بعضها البعض ضمن فضاء مكاني تخيّلي.

والشخصية -كمكوّن سردي – لا تزال محل اهتمام الدراسات النقدية، التي تحاول وصف استراتيجيات بنائها الشكلي والوظيفي، وهو ما يطرح مجموعة من الإشكاليات الأساسة:

- ما مفهوم الشخصية الروائية عند كلّ القدماء والمحدثين؟ وما هي أبرز وظائفها ضمن العمل السردي؟ وكيف تشكلت بنية التشخيص في رواية "شيفرة دافنشي" من حيث الهيكل والوظيفة والعلائق مع مكونات الخطاب الحكائي الأخرى المتشابكة؟.

ولهذا نُخصّص هذا البحث لدراسة استراتيجية بناء الشخصيات في رواية "شيفرة دافنشي" للروائي الأمريكي "دان بروان" في نسختها المترجمة إلى العربية، بهدف رصد أنواعها وعلاقاتها البنيوية ووظائفها الجمالية.

1. مفهوم الشخصية الروائية وظائفها البنيوية:

1. 1 المفهوم العام للشخصية الروائية:

لم ترد كلمة "**الشخصية**" في المعاجم اللغوية العربية القديمة، بل إنّها اشتقت حديثا من كلمة (شخص) التي تورد معانٍ عديدة أهمها: تجسّم ذات الشيء وظهوره وبروز جسمه للعيان، ومن هذا فمصطلح "**الشخصية**" كلمة عربية مستحدثة، يتأسّس مفهومها اللغوي بين دلالة مادية جسمانية تتمثل في ذات الإنسان وشكله، وأخرى معنوية تتمثل في الارتفاع والظهور والسيّادة.

أما من **الناحية الاصطلاحية** فقد نرصد أن هذا المصطلح لم يجد تعريفا قطعيا لا سيما في العالم العربي، إذ شهد رؤى متعددة لدى القدامى والمحدثين؛ فيرى "**عبد المالك مرتاض**" "أنّ اشتقاق اللغة العربية من وراء اصطناع تركيب (ش خ ص): من ضمن ما يعنيه؛ التعبير عن قيمة حيّة عاقلة ناطقة، فكان المعنى إظهار شيء وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته، ولا يعني أصل المعنى في اللغات الغربية إلا شيئا من ذلك؛ إذ إنّ قولهم (personnage) إنما هو تمثيل وإبراز وعكس وإظهار لطبيعة القيمة الحية العاقلة الماثلة في قولهم الآخر (personne)، فالمسألة الدلالية محسومة وقبلها الاشتقاقية في اللغات الغربية محسومة، بينما في اللغة العربية معرّضة لبعض الاضطراب"[1]، وهذا المفهوم الاصطلاحي يتأسس على دلالته اللغوية المتمثلة في الارتفاع والظهور والتراثي من بعيد.

ولكن قد نفهم من كلام "مرتاض" أن أصل الشخصية وفق المنظور الغربي هو كائن بشري، تتجسد فيه معايير متنوعة، تقوم بأدوار مختلفة من أجل تطور الأحداث في العمل السردي، وفي مقابل ذلك نلاحظ أن مفهوم الشخصية الروائية قد لحقه خلط كثير، وذلك بعدم التفريق بين "الشخصية" الكائن الآدمي، و"الشخصية" المكوّن الروائي أو الكائن الورقي؛ أي بين (le personne) الذي يعني الشخص الحقيقي المدرّك المحسوس في الواقع المعاش، فهو ذو طبيعة حيّة يقابل المرجع، وبين (le personnage) الذي يمثل وجهة نظر محدّدة عن الشخص محمّلة بمدلولات تخيّلية معينة، تكوّن صورة عنه وتخلق انطباعا تجاهه لدى القارئ.

ولعل مردّ هذا البون الواضح هو اختلاف أسلوب بناء الشخصية ووظائفها بين الرواية الكلاسيكية والرواية الحديثة، لذلك اختلفت النظرة النقدية المقاربة لهذا العنصر بين القدماء والمحدثين.

1. 2 الشخصية الروائية بين النظرة الكلاسيكية والرؤية الحديثة:

ارتبطت دراسة الشخصية في الكلاسيكيات القديمة بالحدث؛ فقد اعتبرت الشخصية عند أرسطو عنصرا من العناصر الثانوية في الرواية، بل خضعت كل الخضوع لمفهوم الحدث[2]، فالشخصية تسخّر لإنجاز الحدث ويخضع إدراجها لعدّة تقنيات وإجراءات وتصوّرات وأيديولوجيات تنصهر في مخيال الكاتب ممثلة فلسفته في الحياة.

كما اعتبرت الشخصية في الرواية القديمة كائنا له وجود فيزيقي، توصف كل معالمه الداخلية والخارجية، فكانت الشخصية تنوء بالدور الأكبر في الرواية، ذلك أنّ "العناية الفائقة برسم الشخصية، أو بنائها في العمل الروائي كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من وجهة وهيمنة الأيديولوجيا السياسية من وجهة أخرى"[3]. لذلك كان بناء الشخصية الروائية في الرواية التقليدية انعكاسا لعوامل عديدة، تحاول ربط الشخصية الرئيسة بالحدث، وهيمنتها على الشخصيات الأخرى من أجل هدف سياسي أو أهداف تاريخية واجتماعية تسيّر الشخصية وفق منطلقاتها.

كما كانت "الشخصية" في الرواية صورة مصغّرة مستوحاة من العالم الواقعي عن طريق المحاكاة، وإذا ما أردنا أن نستخلص مفهوما عنها وفق المنظور الكلاسيكي، فذلك يتم من خلال رصد بنائها في الرواية التقليدية؛ إذ ارتكز على وصف نماذج بشرية وصفا تاريخيا جامدا أكثر منه أدبيا موحيا أو مستفزّا للخيال أو متفاعلا مع المكونات السردية الأخرى الملامسة له؛ "فقد أرادت الرواية التقليدية أو الرواية دون وصف، أن تنهض بعبء وصف هذه النماذج البشرية العجيبة التركيب والغريبة الأطوار فتعبت وأتعبت، وضلت وأضلت فلم تفض إلى شيء يذكر"[4].

وهذه النماذج التي يشير إليها هذا المفهوم هي محصلة الصورة الفوتوغرافية للناس أو للشخوص سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، أقوياء أم ضعفاء، نساء أم رجال، متشددين أم متسامحين... وهي بهذا المفهوم تسجّل أحداث مجتمع ما، أو أنّها بالأحرى تصوّر مسارا تاريخيا ممتدا، ذلك لأنّ الشخصيات في الرواية القديمة كانت "تتميّز بخلق نماذج بشرية خالدة، حتى اكتسبت تلك الشخصيات طابع النموذج البشري، وأصبح لها وجود مستقل وكأنّها شخصيات تاريخية لا مجرّد شخصيات روائية محبوسة داخل الأعمال الأدبية التي صورت فيها"[5]. لهذا يمكن القول إنّ الشخصية التقليدية في الرواية القديمة أولت اهتمامها بتقديم الشخوص البشرية والتأريخ لهم، لا بتصوير الشخصيات الفنية ذات الأبعاد التخيّلية الجمالية التي لم يهتد إليها إلا وفق النظرة الحديثة للشخصية.

بذلك اتضح الاختلاف بين الشخصية التي تجسد الواقع الحياتي المعاش، وبين الشخصية ذلك الكائن الورقي المحمّل بدلالات ومتخيّلات مختلفة، مما جعل هذه الأخيرة تكون أكثر تعقيدا في العملية السردية وفي بناء الرواية الحديثة.

فلقد تطورت الرواية بتطور آليات وأساليب بناء العمل السردي، ممّا حتّم بذلك أن يتطوّر مفهوم الشخصية كأبرز مكوّن فيها، هذه الأخيرة التي كانت تبنى وفق أهداف تاريخية واجتماعية وسياسية، لذا أصبحت تحمل عدّة مدلولات في الرواية الحديثة التي أمست تقوم على خلق كيان الشخصية الروائية من خلال الخطاب اللغوي ضمن العالم التخيلي، ومن هنا فقد راعت الشخصية المحدثة الجانب النفسي أو السيكولوجي وتعددت مفاهيمها بتعدد وظائفها داخل الخطاب الروائي.

من هذا نخلص إلى أن الشخصية هي ذلك المكوّن الحكائي الذي يسهم في بناء النص الروائي وفق نمط معين، فيمكن أن يقارب الواقع، ويمكن أن يكون وليد الخيال، ولا يتم هذا إلا عن طريق وسيط لغوي لأجل تجسيد هذا الكائن الورقي الأدبي في شكل بناء فني متفاعل ومنسجم مع المكونات الأخرى.

1. 3 طبيعة الشخصيات وعلاقاتها داخل الرواية:

ازدهرت البحوث التي تدور حول طبيعة الشخصية وبنائها داخل الهيكل الروائي، كونها تتحكم في بؤرة السرد وتوجّهاته؛ وذلك في إطار متعالق ومتناغم بين البعدين الخارجي والداخلي اللذين يتمظهران من خلال لغة الخطاب في الرواية، أو من خلال الصيغ والكيفيات والوظائف المتنوعة للمقاطع الحكائية، «فالشخصية وحدة دلالية سمتها ليست ساكنة ومعطاة بشكل قبلي، بل هي بناء يتم عبر زمن القراءة، فالشخصية وليدة مساهمة الأثر السياقي وبناء ما يقوم به القارئ»[6].

وفي ضوء هذا السياق نحاول أن نستقرئ المحدّدات الخطابية المشكّلة لبنية الشخصيات في رواية "**شيفرة دافينشي**" مادامت الشخصية تعدّ بنية ذات أبعاد لسانية لا تتطور أو تتقلص وتضمر إلا من جرّاء تفاعل المحكيات التي تنجزها ذاتها، أو يتلفظها عنها الآخرون في محكيات الرواية.

كما تتعدّد طرق تقديم الشخصيات في هذه الرواية، إذ إنّ لكلّ شخصية دورها، «والاختلاف في تعدّد أصناف الشخصيات يؤدي إلى الاختلاف في بناء الشخصيات، فبالاستناد إلى خاصية الثبات أو التغيّر يمكن توزيع الشخصيات إلى شخصيات سكونية؛ وهي التي تظل ثابتة لا تتغيّر طوال السرد، وإلى أخرى دينامية تمتاز بالتحولات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية السردية، كما أن النظر إلى الدور الذي تقوم به الشخصيات في السّرد يجعلها إمّا شخصيات رئيسية، وإمّا شخصيات ثانوية»[7]، وبناء على هذا نحاول أن نفصّل في دراسة شخصيات "**شيفرة دافينشي**" سواء أكان الأمر متعلقا بنمط الأدوار التي تؤديها وطبيعتها، أم بهيئاتها الخارجية وتركيباتها الداخلية المعبر عنها في محكيات الرواية.

2. استراتيجية بناء الشخصيات في رواية "شيفرة دافنشي":

لقد كان أول تصنيف كلاسيكي للشخصيات في الرواية ينبني على أساس الدور الذي تلعبه داخل العالم الروائي، حيث قسمت تقسيما متقاطبا إلى شخصيات (رئيسية/ ثانوية) و(مسطّحة/ مدوّرة)، ويمكن اعتماد النموذج الآتي:

2. 1 الشخصيات الرئيسة (Principaux):

وهي "التي تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى في الرواية"[8]، حيث تتقاطع عندها أغلب الشخصيات الأخرى، ويمكن أن نصنّف من ضمنها الشخصيات الآتية:

- **شخصية "جاك سونيير"**: هو الشخصية التي ظهرت في بداية الرواية بحضورها المادي والمعنوي، لكن بعد ذلك غاب الوجود المادي، وبقيت الشخصية المعنوية التي تدور حولها كل أحداث الرواية، حيث "تأخذ أبعادا إنسانية وتاريخية وعصرية، بإمساكها بجوهر محدّدات الهويات والاختلافات والصراعات"[9]، ف "جاك سونيير" هو أحد شخصيات هذه الرواية الرئيسيين، يقوم على متحف اللوفر؛ هذا المكان الذي تنطلق منه شرارة الصراع، حيث تدور أحداث الرواية حول أسرار مقتله، وحول سرّ "الكأس المقدسة" الذي لا يطلع عليه إلا "سونيير" وزملاؤه الثلاثة الذي لقوا المصير نفسه على يد القاتل "سيلاس"، ففي الوقت الذي كان يصارع الموت بعدما أصيب برصاصة قاتلة يبادر إلى أن يوجّه رسالة مشفّرة لحفيدته الفرنسية "صوفي نوفو" والأمريكي "روبرت لانغدون"، وهنا يحمل "سونيير" مجموعة القيم التي تعتبر محور الصراع في الرواية، والتي يتمّ من خلالها تشكّل بنية متكاملة من الشخصيات المتصارعة والمتجاورة وفق محور تلك القيم.

- **شخصية الراهب "سيلاس"**: هو الشخصية التي تحمل كلّ قيم الإجرام داخل الرواية، فهو يمثل الشخصية المعقدة نفسيا بسبب ما نشأت عليه من مشاكل اجتماعية في صغرها، إذ زجّ به في

السجن قبل أن تحتضنه جماعة "أوبوس داي" الدينية، فجعلت منه تلميذا وراهبا أصغر للراهب الأكبر "مانويل أرينغاروزا" الذي تبنّاه واغتنم فيه شرارة حبّ الانتقام فسخّره لخدمته وخدمة أغراض هذه المنظمة الكنسيّة، فقد نشأ "سيلاس" حبيس اضطهاد اجتماعي وانحراف ديني متشدد ممّا جعل منه شخصية متذبذبة السلوك تمارس التعبّد عبر الانتقام من الجميع، وهو ما جعل منه شخصية رئيسية في رواية "شيفرة دافينشي" كونه يقود الحرب الميدانية ضد أعداء الكنيسة ويدافع عن قيمها الأيديولوجية، وهذا ما جعل منه نقطة التحام والتقاء بين الشخصيات الأخرى في الرواية وقيمها وأماكن إقامتها المختلفة.

- **شخصية "صوفي نوفو"**: وهي من الشخصيات التي أبرزها السارد من خلال حكي مؤهلات تفاجئ القارئ بطريقة مقنعة، فهي حفيدة "جاك سونيير" وأحداث الرواية بأسرها تدور حولها، ابتعدت عن جدّها بسبب ممارساته لطقوس وثنية، فقاطعته رغم محاولته الدائمة أن تتواصل معه، حيث تقوم "صوفي" في هذه الرواية بفك الشيفرة التي أورثها جدُّها وتحلّلها رفقة البروفيسور "روبرت لانغدون"، وفي آخر الرّواية يُكتشف أنّ "صوفي" هي حقيقة اللغز الوحيد الكامن خلف الشيفرة، وأنّها هي المقصود المادي من رمزية "الكأس المقدّسة" التي تمثل قطب رحى الصراع في الرواية.

- **شخصية "روبرت لانغدون"**: أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفرد وهو من الشخصيات المساهمة في فكّ شيفرة "جاك سونيير" الذي سجّل اسمه قبل أن يموت من أجل مساعدة "صوفي نوفو" في فك طلاسم الرسالة المشفّرة، ومن خلال وجود اسمه المكتوب بدم "سونيير" على بلاط متحف اللوفر اعتبر الشخصية المتهمة بقتل "سونيير" لدى ضابط الشرطة الفرنسية، لكنّ "صوفي" تمكّنه من الهرب وتستأنس به في رحلة اكتشاف سرّ "الكأس المقدسة".

وهذه الشخصية تمتاز بالثبات في مواقفها وأدوارها؛ فهي من الشخصيات المسطحة (Plats) التي "تمضي على حال واحد لا تكاد تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة"[10]، حيث نجد أنها الشخصية التي لم تتبدل عواطفها ومواقفها تجاه "صوفي نوفو"، بل بقيت الشخصية المساندة أيضا لكل من الذّات والموضوع.

- **شخصية المؤرّخ "لاي تيبينغ"**: هذه الشخصية المحمّلة بزخم كبير من الثقافات المتنوعة التاريخية منها والرمزية والدينية، شخصية تعاني من إعاقة جسدية كما صورها السارد في البناء الخارجي، لكن هذا لم يمنعها من التفوق والبروز، فـ "لاي تيبينغ" مؤرخ بريطاني وهو صديق "روبرت لانغدون" كان يظهر نيّة تقديم المساعدة له وللفتاة "صوفي" لكن هدفه الأساسي هو حب الاستحواذ على "الكأس المقدسة"، مما يجعله متحكما في سيرورة الأحداث بما يعكس حقيقة نظرية المؤامرة، ولهذا يمكن أن نعدّه من أهم الشخصيات المدورة (Ronds)؛ "وهي تلك الشخصية المركبة المعقدة

التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنها متغيرة الأحوال، متبدلة الأطوار، فهي في كل موقف على شأن"[11].

ولهذا نجد عنصر المفاجأة والتشويق الفني ينبجسُ من تقلّبات هذه الشخصية، التي يخالف ظاهرُها باطنَها بسبب ما تمتلكه من توجيه للشخصيات الأخرى بهويتها المتخفية خلف شخصية ((المعلم الأكبر))، الشخصية الغامضة التي يكتشف القارئ في النهاية أنها مجرّد قناع تمويهي يضعه "لانغدون" في سبيل نجاح خطته للوصول إلى الوثائق السرية المثبتة لبشرية المسيح.

- **شخصية الشرطي المحقّق "بيزو فاش"**: النقيب في الشرطة القضائية المركزية: هذه الشخصية تعد أيضا من الشخصيات المدورة في الرواية، فقد كانت وظيفته التحقيق في مقتل "جاك سونيير" لكن خلال هذا التحقيق يجد نفسه متواطئا مع جماعة "أوبوس داي" الدينيّة الكاثوليكية بصفة عامة وغير مباشرة، ومع "مانويل أرينغاروزا" بصفة مباشرة، والذي قام باستغلال عاطفته الدينية تجاه الكنيسة ومكانته الاجتماعية ليوظفها لصالحه ضد الخصوم، حيث يشير السارد بذلك إلى عمق الأثر الذي تؤديه مؤسسة الكنيسة، وحجم الدهاء والمكر الذي تمتاز به؛ فهي تتخلّص من خصومها بالقتل كما أنّها تنتهز إخلاص أتباعها في تنفيذ مخططاتها، التي تتجلّى أمام شخصية النقيب "فاش" بوضوح سافر في نهاية الرواية.

2. 2 الشخصيات الثانوية (Secondaires):

وهي التي لا تتعدى أدوارها إلّا أن تكون ثانوية، فظهورها في الرواية يكون خافتا بالنسبة للشخصيات الرئيسية، حيث إنّها "تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية أو تكون أمينة سرها، فتبوح لها بالأسرار التي يطّلع عليها القارئ"[12]، ويمكن أن نرصد في رواية "شيفرة دافينشي" بعضا منها على النحو الآتي:

- **شخصية الشرطي "جيروم كوليه"**: الملازم الأول للإدارة المركزية للشرطة القضائية وهو أول من رافق "لانغدون" خلال مسيرة البحث في مقتل "جاك سونيير"، كما يعتبر من الشخصيات التي ساعدت "بيزو فاش" على اكتشاف الحقيقة التي تخص "لانغدون " – عدم قتله لجاك سونيير-.

- **شخصية القسّ الراهب "مانويل أرينغاروزا"**: وهو الأسقف الأكبر والرئيس العام لمنظمة "أوبوس داي" يعرفه السارد من خلال هذا المقطع الحواري: "نحن كنيسة كاثوليكية، نحن مجموعة من الرهبان الكاثوليكيين اخترنا كأولوية أن نتبع المذهب الكاثوليكي بأكثر دقة وصرامة ممكنة في حياتنا اليومية"[13].

ونضيف إلى أن "أرينغاروزا" هو المعلم الأول للفتى "سيلاس" وهو الوسيط الذي يقوم بالمؤامرة والاتفاق السرّي مع المعلم الأكبر "لاي تيبينغ".

- **شخصية "ريمي لوغالوديك"**: وهو خادم المؤرخ البريطاني "لاي تيبينغ" والذي يعمل على تلبية كلّ أموره اللازمة، فهو الشخصية الكتومة التي عمد السارد من خلال وصفها الخارجي والداخلي إلى الإشارة إلى أنّها تضمر عدّة أشياء تنكشف مع تطوّر الصراع في الرواية لتعلل أحداثا ما.

- **شخصية المدير "أندريه فيرنيه"**: المدير الليلي لبنك "زيوريخ" السويسري للودائع: هذه الشخصية المدوّرة التي تظهر وتعلن تقديم المساعدة في البداية للفتاة "صوفي" و"لانغدون": "كان "أندريه فيرنيه" – مدير بنك زيوريخ للودائع في باريس- يسكن في شقة فخمة فوق البنك، وبالرغم من وسائل الراحة المغرقة في الترف التي كان يتمتع بها إلا أنه كان يحلم دائما بامتلاك شقة على ضفة النهر في "ليل سان لوي"..."[14] قد يكون الهدف الرئيس لهذه الشخصية هو الجشع وحب المال والنفوذ، ولهذا لا يلبث في أن يظهر أطماعه، وأن الهدف الأساس عنده هو الاستحواذ على "الكأس المقدسة" التي تعتبر أغلى مما ذكر سابقا.

- **شخصية الراهبة "ساندرين بييل"**: وهي الشخصية المأمورة من طرف "مانويل" بإرشاد "سيلاس": "إنها امرأة متدينة ولم يكن خطؤها أن الأخوية اختارت كنيستها كمخبأ تخفي فيه الحجر المفتاح فهي يجب ألا تحاسب على جرائر غيرها"[15]، فهي الراهبة التي تحمل سرًّا كبيرا يخص "جاك سونيير": "تساءلت فيما إذا كان هذا الزائر الغامض قد يكون العدو الذي حذّروها منه وإذا ما كان عليها الليلة أن تنفذ الأوامر التي حملت سرّها طوال السنين"[16].

كما يمكن أن نستخرج عدة شخصيات ثانوية أخرى لم يذكر السارد تفاصيل عنها ولا حتى أسماءها أحيانا، كما أنّه لم يقحمها في الأحداث الرئيسية للرواية، وإنما اقتصر دورها في الرواية على تقديم شخصيات أخرى، أو أماكن أو حقائق تاريخية، ومثال ذلك شخصية مقدّمة المحاضرة بالجامعة الأمريكية بباريس، وشخصية عامل الاستقبال في فندق "ريتز" بباريس، وشخصية المضيف العامل بالبنك السويسري، وشخصية الشرطي الحارس بمتحف اللوفر، فكل هاته الشخصيات كانت خافتة الظهور على مسرح الأحداث، بل إن البحث لم يسجل لها كبير الأثر في سيرورة السرد وتطوره داخل الرواية، وهذا الوجود الهامشي لها لا يعني إمكانية اختزالها من الرواية، حيث إنّ لها وظائف معينة ولو كانت محدودة.

2. 3 الشخصيات التاريخية:

وظف السارد هذا النوع من الشخصيات بشكل مكثف خاصة أثناء الاسترجاعات الخارجية في الرواية، إذ نذكر من نماذج تلك الشخصيات التاريخية: يسوع الميسح– الحواريين– مريم المجدلية– فرسان الهيكل- الملك قسطنطين- ليوناردو دافينشي- إسحاق نيوتن- الرئيس الفرنسي متران- بابا الكنيسة... وهذا الحضور الكثيف لهذا النوع من الشخصيات من شأنه أن يسهم في بناء المحددات التاريخية التي تنسب إليها رواية "شيفرة دافينشي".

2. 4 الشخصيات المجازية:

لقد أدت الرموز في "شيفرة دافينشي" أدوارا فنية كثيرة، باعتبارها تمثل إحدى المحفزات التي تدفع الممثلين في الرواية إلى تفكيك طلاسمها واستكناه خباياها واكتشاف أسرارها، مما جعل حضورها الكثيف داخل الرواية يسهم في إيجاد غموض حول إمكانية حدوث بعض الوقائع، بالإضافة إلى خلق الفضول الاستكافي لدى المتلقي؛ ومن أبرز تلك الشخصيات المجازية: الحجر المفتاح- علبة الكريبتكس- النجمة الخماسية- اللوحات الفنية لدافينشي- الأناجيل- الأضرحة والتماثيل- السيف والقدح- الرسائل المشفرة (متتالية فيبوناتشي مثلا)- الأهرامات... وقد كانت هذه الشخصيات عوامل ربط بين الممثلين الآخرين وأجزاء السرد المختلفة، فكان لها الدور الأبرز في الإيحاء الرمزي والتوجيه لسيرورة الأحداث من حيث تأزّمها أو انفراجها.

3. خاتمة:

انطلاقا من مقاربة رواية "شيفرة دافينشي" بهدف وصف استراتيجية بناء الشخصيات فيها ورصد تفاعلها الوظيفي الجمالي ضمن خطاب الرواية، والتقنيات الموظَّفة في تشكيلها يمكننا تسجيل مجموعة من النتائج أهمها:

- التطابق بين خصائص الأشخاص في العالم الموضوعي، ومقومات بناء الشخصيات التخيُّلية في الرواية، مما يحقّق وظيفة الإيهام بواقعية الأحداث والممثّلين.
- المزج بين الإمكانيات الجمالية والآليات الإقناعية في بناء الشخصية الروائية، حيث اعتمد السارد في خلق شخصياته هذه الاستراتيجية بناء على محدّدات القبول الاجتماعي للأفراد (الذكاء الجاذبية الفكرية، الثقافة، الشهرة، الوسامة...) وذلك ليتمّ تهيئة القارئ واقتناص عوامل القبول لديه، بهدف التأثير عليه وتوجيهه بهدوء إلى قبول أفكار شخصية ما دون أخرى، فالسارد يحاول من خلال استراتيجيته هذه، تمريرَ أفكاره ورؤاه إلى القارئ والتأثير عليه دونما انتباهه.
- الاختلاف في إعطاء بعض الملامح عن الشخصيات الفنية، على نسب معتبرة ومتفاوتة، لاسيما الشخصيات الرئيسيةَ منها، حيث أسهم في تمايزها وخلق وظائف جمالية داخل الخطاب الروائي.
- الحضور الكثيف للشخصيات التاريخية (المرجعية والرمزية) واستحضارها عبر الاسترجاعات المتكررة، مما رسم السمات التاريخية للرواية، كما حقق الخروج عن سمات المنطقية السردية في الخطاب.
- تصوير الأبعاد الروحية والفكرية لبعض الشخصيات، من خلال التركيز على إبراز بعض سلوكاتها المتواترة حضورًا في السرد، والتي أسهمت في تفسير أغلب دوافعها وأدوارها التمثيلية في الرواية.

- تقاسم مهام تصوير الشخصيات ما بين عدسة الراوي الواصفة وفق زاوية رؤيته، وانطباع إحدى الشخصيات تجاه شخصية أخرى ووصفها إياها وفق منظورها.

الاحالات

1 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، ع 240، المجلس الاعلى للثقافة، الكويت، 1998، ص 75.

2 - ينظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص ص 207، 208.

3 - عبد المالك مرتاض: مرجع سابق، ص ص 76، 75.

4 - المرجع السابق، ص 74.

5 - محمد مندور: الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، (د ط)، ص 84.

6 - فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، 1990، ص28.

7 - محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 164.

8 - عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط4، 2008، ص 135.

9 - سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 156.

10 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 89.

11 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص ص 88، 89.

12- عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط4، 2008، ص 135.

13 - دان براون: شيفرة دافينشي (رواية)، ترجمة: سمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص40.

14 - دان براون: شيفرة دافينشي، ص 204.

15 - دان براون: شيفرة دافينشي، ص 104.

16 - دان براون: شيفرة دافينشي، ص 105.